مركـــز رواق بغـــداد
REWAQ BAGHDAD CENTER

تقدير موقف | أيلول 2022,24

التقارب التركي السوري (الدوافع والتحديات)

إعداد : كرم سعيد

مقدِّمة

كشف وزير الخارجية التركي في مطلع أغسطس الماضي عن مقابلة قصيرة مع نظيره السوري فيصل المقداد على هامش مؤتمر حركة عدم الانحياز في بلجراد، وأشار إلى جاويش أوغلو إلى مناقشته كيفية تعزيز الدور التركي في المصالحة بين النظام السوري والمعارضة. وشهدت الفترة الأخيرة، خاصة منذ فبراير الماضي مؤشرات على بداية الانفتاح التركي على سوريا، حيث تم كشف النقاب عن اللقاءات الأمنية والاستخباراتية بين البلدين. كما أعلن الرئيس التركي في 19 أغسطس 2022 أنه ليس من المستبعد الحوار مع سوريا، وأنه يرغب في صنع السلام والتواصل الدبلوماسي مع "النظام السوري".

تحولات مغايرة

ظهرت في الفترة الأخيرة مؤشرات على تقارب تركي – سوري، وهو ما عكسته العديد من المؤشرات، والتي يمكن بيانها على النحو التالي:

كثافة التصريحات التركية الايجابية: توالت تصريحات المسؤولين الأتراك بشأن أهمية المصالحة مع سوريا، حيث تحدث وزير الخارجية التركي "جاويش أوغلو" عن أهمية عودة الاستقرار بين أنقرة ودمشق بما فى ذلك حديثه في 16 أغسطس 2022 عن ضرورة المصالحة بين النظام السوري والمعارضة السورية. وبرغم تأكيد جاويش أوغلو أن بلاده لن تخذل المعارضة السورية أبداً، إلا أنه أكد في الوقت ذاته أن "التسوية" ضرورية لاستقرار وسلام دائمين في سوريا. فيما قال الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، أيضاً، في 19 أغسطس الماضي، إنه "يتوجب علينا الإقدام على خطوات متقدمة مع سوريا.

بالتوازي مع ما سبق، رحبت المعارضة التركية بالتحولات السياسية للحزب الحاكم تجاه النظام السوري، فبينما أشاد دولت بهتشيلي، زعيم حزب الحركة القومية، بتصريحات الرئيس التركي ووزير خارجيته بشأن سوريا، أشار بهتشيلي في كلمة أمام كتلة حزب الحركة القومية بالبرلمان التركي في أغسطس الماضي إلى أهمية: "رفع مستوى المحادثات بين تركيا وسوريا إلى مستوى الحوار السياسي وإخراج التنظيمات الإرهابية مرشح ليكون أحد الملفات المطروحة على الأجندة السياسية، بل وإنه

يستحق التفكير الجاد"، معتبراً أن خطوات تركيا في هذا الإطار "دقيقة ومدروسة". كما أعرب حزب "الشعب الجمهوري" المعارض عن أهمية الانفتاح على النظام السوري، وترسيخ حالة السلام مع "الأسد".

الاتصالات الأمنية والسياسية: تزامنت التحركات التركية للتقارب مع النظام السوري، مع الأجهزة الأمنية في البلدين، وكان أولها في العام 2020، حيث عُد لقاء كان الأول من نوعه منذ العام 2011 بين رئيس مكتب الأمن الوطني علي مملوك، ورئيس المخابرات التركية حقان فيدان، وذلك في العاصمة الروسية موسكو. كما كشف موقع "إنتليجنس أونلاين" الفرنسي الاستخباراتي في 7 سبتمبر 2022، إن رئيس مخابرات النظام السوري، علي مملوك، أجرى اجتماعًا جديدًا مع نظيره التركي، هاكان فيدان، موضحًا أن الاجتماع كان برعاية روسية[1].

على صعيد ذي شأن،سربت مصادر دبلوماسية تركية في 12 في أغسطس الماضي جزء من محادثة وزير الخارجية التركي مع نظيره السوري، فيصل المقداد، في العاصمة الصربية بلجراد على هامش قمة دول عدم الانحياز في أكتوبر 2021، والتي أكد خلالها أوغلو للمقداد أن العمليات العسكرية التركية العابرة للحدود في سوريا ليست ضد سيادة سوريا، بل هي لضمان وحدة وسلامة أراضيها.[2]

ضغط القوى المنخرطة في المشهد السوري: ارتبط التحول الحادث في الموقف التركي بضغوطات القوى الاقليمية والدولية المنخرطة في المشهد السوري، وبخاصة موسكو وطهران، وظهر ذلك في تأكيد الرئيس التركي على أن نظيره الروسي طلب منه ضرورة كسر مساحات التوتر مع دمشق عشية قمة سوتشي الأخيرة بينهما في 5 أغطس 2022. فقد طلب بوتين خلال اللقاء من أردوغان التعاون مع بشار الأسد، مؤكداً أن حل الأزمة السورية سيكون أفضل بالتعاون مع الحكومة السورية. ونظراً لأن تركيا ترغب في تنفيذ عملية عسكرية في شمال سوريا ضد الأكراد، فإن موقف بوتين ربما يشير إلى إمكانية موافقته عليها، إذا ما توصلت الحكومتان السورية والتركية لاتفاق حول

[1] - برعاية روسية اجتماع بين على مملوك وهاكان فيدان, موقع عنب بلدى7 سبتمبر 2022, متاح على الرابط: https://bit.ly/3Rsizv7

[2] - تشاووس أوغلو يكشف عن محادثات مع نظيره السوري المقداد حول المصالحة في سوريا, روسيا اليوم, 11 أغسطس, متاح على الرابط: https://bit.ly/3KWkmq9

هذا الأمر. وقد يكون الانفتاح التركي اللاحق على الحكومة السورية مؤشراً على استجابة أنقرة لمطالب روسيا.[3]

وتعى موسكو أهمية تطبيع العلاقات السورية– التركية، خاصة في ظل انشغال موسكو بالأزمة الأوكرانية، وسعيها لتهدئة وتأمين الجبهة السورية، وهنا، يمكن فهم محاولات موسكو لترتيب لقاء بين الرئيس التركي ونظيره السوري، وذلك من خلال محاولة عقد لقاء بطريقة غير مباشرة بين الرئيسين أردوغان والأسد في اجتماع منظمة شنغهاي المقبل في أوزبكستان من خلال دعوة البلدين إلى حضوره، خاصةً أن سوريا قد أبدت رغبة في الانضمام لهذه المنظمة[4]. ويشار إلى أن موسكو، وفي ظل انشغالها بالأزمة الأوكرانية تراهن على تهدئة الجبهة السورية من خلال تحقيق التقارب بين أنقرة ودمشق، باعتبار أن ذلك يضمن لها تحقيق مكسباً يتعلق بإقناع تركيا بوقف تدخلها العسكري مجددا في الشمال السوري فضلاً عن مواجهة النفوذ الأمريكي المُتزايد في شرق الفرات والداعم للقوات الكردية هناك. كما أن وقف العمليات العسكرية التركية في شمال سوريا ربما يخفف من الضغوط على القوات الروسية الموجودة هناك، ومن ثم يسمح بنقل المزيد منها إلى أوكرانيا.

من جانب آخر تسعى إيران إلى ترميم العلاقات بين أنقرة ودمشق، بعد سنوات من القطيعة والعداء، واشارت طهران على لسان المتحدث باسم الخارجية ناصر كنعاني في 22 أغسطس الماضي "نأمل أن نشهد إعادة ترميم للعلاقات بين أنقرة ودمشق بما يخدم مصلحة الشعبين والاستقرار في المنطقة"، معتبرا أنه "من الأفضل لتركيا تصحيح نظرتها في ما يتعلق بالقضية السورية".

الاستجابة السورية: أبدى النظام السوري ترحيباً من وراء ستار بعودة العلاقات مع أنقرة، وكشف عن ذلك تصريحات وزير الخارجية السوري، فيصل المقداد في فبراير الماضي خلال زيارته لموسكو، حيث كشف عن استعداد بلاده لتطبيع العلاقات مع الحكومة التركية، وأضاف أن سوريا وتركيا جيران، ويربطنا تاريخ طويل و500 سنة احتلال، تكفي حتى نفهم بعضنا. غير أنه أكد على أهمية الانسحاب التركي من الأراضي السورية، وتوقف تدخلاتها العسكرية في الشمال السوري.

---

[3] - دور روسي.. أهداف الرئيس التركي من الانفتاح على الحكومة السورية, 30 أغسطس 2022, متاح على الرابط: https://bit.ly/3x5JcOE

[4] - دبلوماسيون روس: اللقاء بين الأسد وأردوغان في قمة شنغهاي غير وارد أبداً, موقع تلفزيون سوريا, 24 أغسطس 2022, متاح على الرابط: https://bit.ly/3L0CLIB

دوافع متنوعة

ثمة العديد من الأهداف التي تدفع الطرفين نحو القفز على القضايا الخلافية، وتجاوز الملفات الشائكة، ففيما يخص تركيا، فإن ثمة أهداف تركية محددة من وراء التقارب مع دمشق، **أولها:** أن أنقرة تريد أن تتولى القوات السورية النظامية مواجهة القوات الكردية السورية، ووأد النزعة الانفصالية على تخوم تركيا، خاصة في ظل حدود نجاحات تركيا في مواجهة "قوات سوريا الديمقراطية "قسد التي لا تزال تحظى بدعم أمريكي.

وثانيها: رهان تركيا على أن ترطيب العلاقة مع دمشق قد يوفر لها بيئة خصبة للتخلص من أزمة اللاجئين السوريين المقيمين على أراضيها، حيث باتت قضية اللاجئين تمثل عبئاً على أعصاب النظام التركي، وتزيده انغماساً في همه الداخلي، خاصة مع اقتراب الاستحقاق الانتخابي المقرر له منتصف العام المقبل. وتحمل قضية اللاجئين أولوية مركزية للنظام التركي في المرحلة الحالية، خاصة مع مساعى المعارضة التركية لاستثمار الارتدادات السلبية التي أفرزتها سياسة الباب المفتوح التي انتهجها حزب العدالة والتنمية تجاه اللاجئين السوريين، وأدت إلى أزمات معيشية مجتمعية غير مسبوقة داخل تركيا. وتحاول المعارضة توظيف حالة الغضب الشعبي في الداخل التركي من اللاجئين السوريين في العملية الانتخابية المقبلة، لسحب البساط من تحت أقدام الرئيس أردوغان. في هذا السياق، فإن التقارب مع دمشق لا ينفصل عن سعى الرئيس التركي لتجريد المعارضة من هذه الورقة عبر اللعب بها أيضا، وربما تكون الاعترافات بشأن الاتصالات مع النظام السوري ليست أكثر من مناورة انتخابية.

وثالثها:إن تركيا تعى أن التقارب مع النظام السوري في المرحلة الحالية يسمح لها بتجذير تحولاتها الخارجية التي بدأت لتوها تجاه دول الإقليم العربية، وبخاصة مصر والإمارات والبحرين، والتي تسعى إلى عودة النظام السوري مجدداً للحاضنة العربية. وراء ما سبق، فإن تركيا باتت تعى مخاطر الانخراط العسكري مجدداً في الشمال السوري، وفي قمة طهران في يوليو الماضي، حذرت إيران وروسيا أردوغان" من خطورة أي عملية عسكرية جديدة. وحاليا تجري حرب استخبارات إيرانية تركية، ويبدو أن الأمر يتسع بالرغم أن أنقرة وطهران لا ترغبان في الصدام بشأن شمالي سوريا.

وكان الزعيم الإيراني، آية الله علي خامنئي قد أكد في حديثه مع الرئيس التركي خلال مشاركة الأخير في قمة طهران في يوليو الماضي "سنتعاون معكم حتما في محاربة الإرهاب، لكن الحفاظ

على وحدة الأراضي السورية مهم جدا بالنسبة لنا، وأي هجوم عسكري على شمال سوريا سيضر تركيا وسوريا وكل المنطقة ولصالح الإرهابيين.نحن نعتبر أمن تركيا هو أمننا وعليكم أنتم أيضا أن تعتبروا أمن سوريا على أنه أمنكم[5].

ورابعها: يرتبط بحرص تركيا على توثيق العلاقات مع موسكو خلال المرحلة الحالية، خاصة في سياق محاولات الرئيس التركي تعظيم الاستفادة من الحرب الأوكرانية والظروف التي تواجه موسكو، لتحقيق أكبر قدر من المكاسب، سواء على مستوى الطاقة والمسائل الاقتصادية الأخرى أو حتى على المستوى الذى يتعلق بالمصالح التركية في سوريا.

في المقابل، فإن النظام السوري، قد يحقق استفادات عدة من وراء التقارب مع أنقرة، منها التحايل على ضعف مناعته الإقليمية، وكذلك استثمار العلاقات مع تركيا لدفع العلاقات الاقتصادية والتجارية، حيث يمكن أن تمثل تركيا رئة جديدة للنظام السوري، يمكنه من خلالها التحايل على تدهور الأوضاع المعيشية والاقتصادية التي يعانيها. كما أن إعادة تنسيق المواقف السياسية مع أنقرة قد يسمح للنظام السوري بفتح باب لحل قضاياه الداخلية مع المعارضة المدعومة من تركيا.

تحديات ماثلة:

برغم مستجدات إقليمية ودوافع مصلحية تدفع أنقرة إلى تقليص حالة العداء مع النظام السوري، إلا أن ثمة تحديات تقف حجر عثرة أمام تحقيق اختراق كبير في العلاقة بين أنقرة ودمشق، في الصدارة منها استمرار الرفض التركي للاعتراف بشرعية الأسد، بينما تمد جسور الصلة مع المعارضة السورية، وبخاصة الجيش الوطني الحر المدعوم من تركيا.

كما تصر تركيا الحفاظ على وجودها العسكري داخل الأراضي السوري إضافة إلى استمرار التهديدات التركية بالتوغل مجدداً في الشمال السوري، وتعزيز نفوذها من خلال توفير بيئة خصبة لذلك في مدن عفرين والباب وجرابلس وأعزاز وغيرها، والتي تسيطر عليها تيارات المعارضة السورية الموالية لها. وتعمل أنقرة في هذا التوقيت، وبالتزامن مع تهديدها بشن عملية عسكرية جديدة، على

[5] - خامئنى لأردوغان: تنفيذ ضربة عسكرية بسوريا سيزعزع استقرار المنطقة, موقع العربية, 19 يوليو 2022, متاح على الرابط: https://bit.ly/3QvOlWO

إعادة تأهيل الخدمات الأساسية من الكهرباء والتعليم والصحة بمدن شمال سوريا بالتعاون مع الشركات التركية الخاصة .وفيما يبدو، فإن تركيا تحاول من خلال هذا الحضور تحقيق أهداف عديدة ترتبط برؤيتها لموقعها على الساحة السورية خلال المرحلة القادمة، حيث نجحت في تغيير التوازنات الديموغرافية في مناطق الشمال السوري لتعزيز الهوية التركية على حساب الهويات العربية والكردية.

في المقابل، لا تزال دمشق حازمة في مطالبتها للرئيس التركي بأهمية احترام القانون الدولي والاتفاقات الثنائية ومبدأ حسن الجوار، ناهيك عن أن دمشق لن تتراجع عن مطالبها لتركيا بسحب قواتها من سوريا، ووقف دعمها للجيش الوطني السوري والفصائل السورية التي تصنفها دمشق بالـ"إرهابية." ويشار إلى أن وزير خارجية النظام السوري "فيصل المقداد" كان قد اتهم تركيا نهاية أغسطس 2022 بدعم الإرهاب، وطالب بانسحاب القوات التركية من سوريا بشكل كامل وإنهاء أي شكل من أشكال الدعم للمعارضة السورية[6].

على صعيد ذي شأن، تشترط دمشق، ضرورة إبعاد القوات العسكرية التابعة للفصائل التي تستغلها تركيا في مواجهة الأكراد، بجانب أن ترفع أنقرة يدها عن دعم هيئة تحرير الشام التي تستولي على إدلب، كما طالبت سوريا تأكيد ما سبق الاتفاق عليه بفتح طريق حلب – اللاذقية – دمشق الدولي والذي يُسمى M4 ، والذي لا تزال القوات التركية لا تسمح بفتحه[7].

ختاماً، فإنه بالرغم من الظروف الإقليمية والمتغيرات الدولية قد تسمح بتحريك المياه الراكدة بين أنقرة ودمشق إلا أن ثمة تحديات قد تقف حجر عثرة بين البلدين، منها إصرار تركيا على أهمية إدماج المعارضة السورية في العملية السياسية، وإعادة تعديل اتفاقية أضنة بما يسمح لها بالتدخل في الأراضي السورية بعمق 35 كيلوم متر بدلاً من 5 كم لملاحقة حزب العمال الكردستاني، بينما تصر دمشق على انسحاب تركيا من الأرضي السورية، ووقف دعمها لخصوم النظام.

---

[6] - تحديات هائلة.. أسطورة المصالحة الكاملة بين تركيا والنظام السوري، موقع الخليج الجديد، 1 سبتمبر 2022، متاح على الرابط: https://bit.ly/3TSmNht

[7] د. محمد مجاهد الزيات، استكشاف التحول. التقارب التركي السوري.. مصالح متغيرة وشروط متبادلة، مركز المستقبل للابحاث والدراسات المتقدمة، 30 أإسطس 2022، متاح على الرابط: https://bit.ly/3qr3iPz

مركـــز رواق بغـــداد

REWAQ BAGHDAD CENTER